# تجديد الخطاب الديني في مواجهة العلمانية

د. أحمد محمد مفلح الحنيطي

جامعة الملك خالد

المملكة العربية السعودية

**المقدمة:**

مما لا شك فيه أن تجديد الخطاب الديني ضرورة ماسة تحتاج إليها الأمة في كل حقبة من الزمان؛ لما للزمان وتقادمه من أثر في البعد عن نصوص الوحي، فهما وتنزيلا، فالوحي كان سببا في عزة الإسلام وأهله، والبعد عنه، والأخذ بما علق به، بمرور الزمان؛ سبب في تخلف الأمة وتخاذلها.

إن أهم ما يجب الالتفات إليه في وقتنا الحاضر، التجديد بمفهومه الصحيح، الذي بشر به نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم؛ سيما أن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، عظيمة سواء كانت التحديات على مستوى الفرد؛ أم على مستوى الجماعة، والأمة.

لقد كان لعلماء العقيدة، والمذاهب؛ دور بارز في حماية الإنسانية من خطر العلمانية، إلا أن ثمة جوانب جديرة بالدراسة، وبيان حقيقة العلمانية، فجاءت هذه الدراسة مستدركة لما كان من نقص في منظومة المواجهة الفكرية.

**أهمية البحث: يكتسب هذا البحث أهميته من الآتي:**

- إن التحديات التي تواجه الإسلام والمسلمين، تجعل من الضروري تجديد الخطاب الإسلامي الديني.
- خطورة إبعاد الدين عن حياة الناس والمجتمع.
- بيان سبب اختيار الغرب للعلمانية، وعدم حاجتنا لمثل ذلك في عالمنا الإسلامي.
- بيان سعادة الإنسان بالإسلام، وشقائه ببعده عنه.
- بيان أن التجديد للخطاب الديني، هو الحل الأمثل للحائر في تخلف الأمة الإسلامية وتقدم الغرب العلماني، حتى لا يقع في آثام العلمانية وآثارها المدمرة للفرد والمجتمع.

**أسباب اختيار الموضوع:**

**أولا:** ضرورة وجود حلّ أمثل للأمة، في مواجهة تبني أبناءها للمبادئ الهدامة.

**ثانياً:** دور تجديد الخطاب الإسلامي في الحفاظ على الدين.

**ثالثاً:** تأصيل مفهوم تجديد الخطاب الديني الصحيح.

**رابعاً:** بيان أن إحياء الدين هو السبيل الأمثل في مواجهة العلمانية.

**أهداف البحث:**

**أولا:** مواجهة الفكر العلماني بالخطاب الإسلامي الأصيل.

**ثانياً:** بيان أن التجديد مفهوم أصيل في الدين.

**ثالثاً:** بيان المفهوم المنحرف للتجديد.

**رابعاً:** الحفاظ على فكر الأمة، بتجديد الخطاب الديني.

**مشكلة البحث:**

انتشر الفكر التجديدي في الوقت المعاصر، بين أفراد الأمة، ومؤسساتها؛ سيما بعد الهجمات الشرسة على الإسلام، وثوابته، ومقدساته؛ حيث كان في طليعة تلك الهجمات الفكر العلماني.

ولقد كان لذلك الانتشار في فكر التجديد، آثار على علماء ومفكري الأمة حيث وقف بعضهم، موقف المعارض والمتصدي، للفكر التجديدي، ظانين أن ذلك من أساليب العلمانيين في تغيير ثوابت الأمة؛ فخلطوا بين التجديد والتبديل من جهة ومن جهة أخرى؛ غفلوا عن البشارة النبوية لهذه الأمة، بأن يجدد الله تعالى لها أمر دينها.

ستحاول هذه الدراسة بيان الانحراف في مفهوم التجديد، كما ستعمل على توضيح أصالة التجديد في مواجهة العلمانية.

**المبحث الأول: تجديد الخطاب الديني تأصيله، وأهميته**: لقد كان التجديد بشارة نبوية كما في الحديث الذي يرويه الصحابي الجليل أبوهريرة رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)[1].

إن مشروع التجديد في الفكر الإسلامي؛ في ظل الحداثة الغربية وتياراتها المعاصرة؛ أصبح من أهم القضايا البحثية في عالمنا الإسلامي، والتجديد لا يأتي من فراغ؛ ولكنه عمل المفكرين في التشخيص السليم، لأوضاع العالم الإسلامي وبيان مواطن العلة فيه، بهدف تقديم العلاج الصحيح، والخروج بالأمة، من أزمتها الحضارية.

فالتجديد لا يعني الإتيان بشيء جديد؛ وإنما "إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما"[2]؛ بحيث يزيل ما علق بهما من زيف، وإرجاع ما كان من نقص وإهمال.

**المطلب الأول: أهمية تجديد الخطاب الديني:**

تظهر أهمية التجديد في ظل التحديات الفكرية والحضارية، التي يعيشها المسلمون، ومن أهم تلك التحديات، التيارات الفكرية التي أخذت بالانتشار بين المسلمين، على اختلاف مستوياتهم الفكرية، والعمرية، والجنسية؛ فالعلمانية، وهي أحد تلك التيارات، تشكل تحد واضح للأمة، سواء بدورها النظري أم بجانبها التطبيقي العملي.

ليس ما يناقض العقيدة الإسلامية وخطابها مسمى العلمانية فحسب؛ أو مصدرها؛ بل إن ما يناقض العقيدة الإسلامية، وخطابها؛ هو ما تحمله العلمانية من مبادئ وأفكار، لا توصف بأنها شكليات ومتغيرات؛ وإنما مبادئ اعتقادية تناقض روح الإسلام وتشريعاته من جهة، وتخالفه في أصوله ومقاصده، من جهة أخرى.

(1) أبو داود، السنن، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في القرن المائة (رقم/ 4291) وصححه السخاوي في المقاصد الحسنة (149) ص 203، دار الكتاب العربي، لبنان والألباني، محمد ناصر، السلسلة الصحيحة (رقم/ 599).

(2) المناوي، فيض القدير، (1/ 14).

إن هذه المبادئ العلمانية سواء كانت مجتمعة أم منفردة ستصل بالمسلم إلى تفريغه من عقيدته وفكره؛ الذي يؤمن به، و يعتقده.

إنَّ التجديد حاجةٌ توجبها طبيعة هذا الدِّين وتفرضها الخصائصُ التي خصَّ الله بها الإسلام عن غيره من المبادئ؛ بل إن التجديد في الإسلام عنصر مهم في الحفاظ عليه، وحماية لما يتعرض له من عوارض الزمان الداخلية والخارجية، فهو سر من أسرار ضمان ديمومة الإسلام وبقاءه وصلاحه لكل زمان ومكان.

فتظهر ضرورة التجديد لما يأتي:

أ- لأنَّ العِلم يذهب كما وقع لليهود والنَّصارى، روى زياد بن لبيد -رضي الله عنه- أنَّ النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ذكر شيئًا، فقال: (ذاك آوانُ ذهابِ العلم)، قلتُ: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نَقرأ، ونُقْرِئ القرآن أبناءنا، ويُقْرِئه أبناؤنا أبناءَهم؟ قال: (ثكلتك أمُّك زياد! إنْ كنتُ لأراك مِن أفقه رجل بالمدينة أوليس هذه اليهود والنَّصارى يَقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيءٍ مِمَّا فيهما؟)[1].

ب- ولأنَّ العلماء يُقبَضون؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: (إنَّ الله لا ينتزع العلمَ من الناس انتزاعًا، ولكن يَقبضُ العلماءَ، فيرفع العِلم معهم، ويُبقي في الناس رؤوسًا جهَّالاً يُفْتونهم بغير عِلم، فيَضِلُّون ويُضِلُّون)[2].

ج- ولأن غربة الإسلام ستعود، فيحتاج إلى تجديده وإحياءه؛ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: (بدأ الدِّين غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء)[3].

(1) ابن ماجة محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه (4048)، دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني رحمه الله.

(2) النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم، 2673، دار الجيل - بيروت ودار الآفاق الجديدة- بيروت.

(3) صحيح مسلم، 145.

**المطلب الثاني: مبادئ العلمانية:**

إن العلمانية كغيرها من المذاهب تقوم على مبادئ و مرتكزات، نص عليها بعض العلمانيين مجتمعة، ومنهم من لم ينص عليها، وإن كان قد ذكرها متفرقة وهي:

**أولاً:** حرية المعتقد.

**ثانياً:** المساواة بين المواطنين أيا كانت خياراتهم الروحية.

**ثالثاً:** حياد المحيط العام غير الطائفي[1].

تعتبر هذه مبادئ العلمانية عند العلمانيين الملحدين، وغير الملحدين، ممن لا يعتقد أصلا بوجود الله تعالى؛ بيد أن هذه الأمور النظرية يصعب تطبيقها في البيئة العلمانية نفسها، حيث نشاهد في واقعنا المعاصر، محاربة الأنظمة العلمانية للإسلام خاصة وعدم تقبل الأنظمة، التي تقوم على الإسلام، أو تحاول تطبيق بعض صور الإسلام.

لقد كانت المبادئ العلمانية، مزينة بالحرية التي يميل إليها الإنسان بفطرته، لكن الحقيقة التطبيقية تخالف ذلك تماما.

لا بد للمسلم أن ينظر في الخطاب الديني، ومقارنته بالخطاب العلماني؛ ولكن على صورته، التي جاء بها من عند الله تعالى، لا كما يصوره الإعلام المعاصر، الذي يملكه المخالف، سيما وأن الواقع الإسلامي أليم في صور القتل والإرهاب.

أما من جهة الخطاب الإسلامي؛ فهو يدعو إلى عدم الإكراه في الدين، وحماية من يحتمي في الدولة الإسلامية، وإعطائه كافة حقوقه الفردية، والاجتماعية، والدينية؛ ويحرم الاعتداء عليه بأي وجه من والوجوه.

قال تعالى: {لا إكراه في الدين} [البقرة:256]. وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وذمة المسلمين واحدة فمن أخفر مسلماً فعليه مثل ذلك)[1]،

(1) رويث- بينا، هنري، ماهي العلمانية؟، ترجمة: د. ريم منصور الأطرش، ط:2005م، المؤسسة العربية للتحديث الفكري - دمشق..

وفي حديث أبي هريرة: (وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف)[2].

"ولا يجوز قتل الذمي بغير حق"[3]، و"يحرم عليه قتل الذمي والمعاهد بغير استحقاق"[4]؛ بل إن "القتل ظلماً أكبر الكبائر بعد الكفر؛ شمل قتل الذمي، والمعاهد والمؤمن"[5].

**المطلب الثالث: تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف:**

يظن بعض العلماء والمفكرين، أن التجديد الديني، هو وسيلة علمانية، ابتدعها العلمانيون لإفساد أصالة الإسلام، وتغيير عقيدته وشريعته؛ ولكن الأدلة من القرآن والسنة والفطرة، وما يحمل الإسلام من خصائص، تجعله صالحا لكل زمان، ومكان ويخالف من ينظر إلى التجديد الديني على أنه بدعة في الدين.

**أسباب مناهضة التجديد الديني:**

ثمة أسباب حدت ببعض العلماء والمفكرين، لمناهضة فكر التجديد الديني؛ يمكن إجمالها بما يأتي:

**أولا: المفهوم الخاطئ للتجديد:**

حيث يعتقد المخالف، أن التجديد؛ هو بمعنى التغيير والتبديل، أو هو الإتيان بشيء جديد؛ ولكن الحقيقة اللغوية، والاصطلاحية للتجديد، لا تفيد هذه المعاني.

ويأتي هذا الخطأ، من الخلط الحاصل، بين معنى التجديد في ذاته، وما يؤدي إليه التجديد من آثار ونتائج؛ فمن الطبيعي أن الغرض من التجديد، هو تبديل الحال وتغيير الواقع، وليس المراد منه تغيير

---

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري، 3/ 1157 برقم: 3001، دار ابن كثير – بيروت، طبعة 1987، تحقيق: الدكتور مصطفى البغا.

(2) أخرجه مسلم، 2/ 999 برقم: 1371.

(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، 34/ 146، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، طبعة 2003م

(4) ابن حجر، فتح الباري، 12/ 261.

(5) الرملي، حاشية الرملي، 4/ 2.

الأصل وتبديله؛ فهو تجديد بغرض التغيير والتبديل؛ فإذا حصل هذا المقصود، وهو تبديل الحال السيء إلى حال جيد، بسبب هذا التجديد للأصل؛ كان هو المطلوب.

فمعنى التجديد لغة: " يقال شيء جديد، وتجدد الشيء صار جديداً وهو نقيض الخلق، وجدّ الثوب يجِدُّ (بالكسر) صار جديداً، والجديد ما لا عهد لك به"(1).

فهو: "إعادة ترميم الشيء البالي، وليس خلق شيء لم يكن موجوداً، وبهذا المعنى فإن التجديد في مجال الفكر، أو في مجال الأشياء على السواء: هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بلي، أو قدم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره، وأن تعيده إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة، فتجدد الشيء أن تعيده جديداً"(2).

فليس معنى التجديد التبديل، والتغيير؛ الذي هو: "إحداث شيء لم يكن قبله"(3).

**ثانيا: الفهم الخاطئ للنصوص:**

بعد أن اتضح أن "التجديد إنَّما يكون بعد الدروس، وذاك هو غربة الاسلام"(4).

يأتي ضرورة بيان الفهم الخاطئ، للنص القرآني أو النص النبوي، عند المناهضين لفكر التجديد:

**النص القرآني:**

قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:3].

(1) ابن منظور ـ لسان العرب، طبعة دار المعارف، مصر، ج1، ص562 ـ 563.

(2) برهان غليون، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1، 1991، ص72.

(3) الجرجاني، التعريفات ص 70، تحقيق محمد أبو العباس، ط1، 2013م، دار طلائع، القاهرة.

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (18/ 297).

فيعتقد المخالف، أن التجديد فيه زيادة على الدين، ومخالف لهذه الآية؛ والحقيقة أن التجديد يتفق تماما مع هذه الآية؛ فالتجديد عودة للنصوص، وإن كان في معناه تنوع الطرق، والأساليب في الوصول إلى النص، فهذا مما أباح الشرع التصرف فيه.

" فلم يبقَ للدّين قاعدة يحتاج إليها في الضروريات، والحاجيات، أو التكميليات، إلا وقد بُينت غاية البيان"، ومن طرق التجديد،" تنزيل الجزئيات، على تلك الكليات موكولاً إلى نظر المجتهد ؛ فإن قاعدة الاجتهاد أيضاً ثابتة في الكتاب والسنّة، فلا بد من إعمالها، ولا يسع الناس تركها "؛ فكما هو معلوم أن الجزئيات" لا نهاية لها فلا تنحصر بمرسوم "[1].

ومن طرق التجديد أيضاً اختلاف العلماء في فهم النصوص، وما يخص الجزئيات فقد يفهم المجدد " من النصوص ما لا يفهمه غيره؛ عندما يختفي عليه الدليل الواضح، وهذا كله لا يتعارض مع تمام الدين؛ بل هو محاولة من المجتهد للوصول إلى حكم الله"[2].

فهذه الطرق، لا تعارض كمال الدين وتمامه؛ بل تأكيد لكماله وتمامه؛ بالعودة إليه وإزالة ما علق به، فيكون التجديد؛ تمسك بالأصل، وإظهاره على ما كان عليه.

**نصوص الحديث الشريف:**

جاءت أحاديث كثيرة في موضوع التجديد؛ منها ما لم يكن صريحا بلفظ التجديد ومنها ما صرح بلفظ التجديد[3].

**ويرجع الفهم الخاطئ إلى أمرين:**

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (18/ 297).

(2) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، إعلام الموقعين، عن رب العالمين 1/ 332، دار الجيل، دار الجيل – بيروت، 1973.

(3) انظر: أمامة، عدنان محمد، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، ط1، 1424هـ.

**أولاً: عدم تصحيح حديث التجديد.**

وهذا ليس بحجة؛ لأن كثيرا من أعلام الحديث من المتقدمين والمعاصرين صحح الحديث، ومنهم على سبيل المثال[1]:

**أ- المتقدمين من علماء الحديث:**

- ذكر أبو داود، سليمان بن الأشعث، الحديث في سننه، وبوبه في كتاب الملاحم؛ وهي من الغيبيات؛ فيكون فيه إشارة للاعتبار، على أقل تقدير.
- الحاكم، والبيهقي، والطبراني في الأوسط، و الخطيب البغدادي، وغيرهم.

**ب- المتأخرين من علماء الحديث:**

- السيوطي في الجامع الصغير، و السخاوي في المقاصد الحسنة.
- قال ابن حجر: "هذا يشعر بأن الحديث كان مشهورا في ذلك العصر ففيه تقوية"[2] للحديث.

(1) انظر: الحنيطي، أحمد محمد، تجديد الخطاب الديني العقدي في مواجهة التحديات المعاصرة، رسالة دكتوراه، الفصل الأول، المبحث الخامس. وانظر ص 5 من هذا البحث في التمهيد للمبحث الأول.

(2) العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود 11/ 388.، دار الكتب العلمية –بيروت.

ج- المعاصرين من علماء الحديث:

- محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة (رقم/ 599).

وهذا قليل بالمقارنة بما أحصي من الأحاديث والعلماء، ناهيك عن الشواهد والمتابعات، مما هو معلوم عند أهل الحديث.

**ثانياً: عدم توفر الشروط في التجديد والمجدد.**

لقد ناهض بعض العلماء والمفكرين مشروع التجديد بسبب عدم اكتمال شروط التجديد والمجدد؛ ولكن بعد النظر والمراجعة تبين الآتي:

أما **بخصوص التجديد،** فشروطه مكتملة، بوجود المسلم والأمة والقرآن الكريم والسنة؛ وهو ما أشار إليه الحديث ((إِنَّ اللهَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)) فاكتمل بهذا النص النبوي الشريف شروط التجديد الأربعة فالمسلم، هو من سيبعثه الله تعالى والأمة موجودة إلى يوم الدين، تمثلها الطائفة المنصورة[1]؛ بل إن من العلماء من عد حديث الطائفة المنصورة من أحاديث التجديد ؛فهي طائفة " متفرقة في أقطار الأرض كما يشهد له الواقع من حال هذه الأمة منذ فتحت الأمصار في عهد الخلفاء الراشدين إلى اليوم، وتكثر في بعض الأماكن أحيانا، ويعظم شأنها، ويظهر أمرها؛ ببركة الدعوة إلى الله تعالى، وتجديد الدين "[2].

وأما الدين فالقرآن الكريم والسنة النبوية، ففيهما الدين كله، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:3].

إذن فشروط التجديد مكتملة تماما، ودور التجديد هو في بيان "سنن الآفاق والأنفُس والهداية؛ مِن أجْلِ الرقي المعرفي والرُّوحي والسلوكي والعُمراني في عالَم الشهادة"[3].

(1) إشارة إلى حديث: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق..." وهو مروي عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، عند الشيخين وأحمد وعن غير معاوية من الصحابة في كثير من كتب السنن. والحديث صحيح- والله أعلم-.

(2) التويجري، حمود، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (1/ 332)، ط1، دار الصميعي، السعودية.

(3) موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي ص10، دار الثقافة، الجزائر.

و أما **ما يتعلق بالمجدد،** فلا يشترط أن يكون واحدا بعينه، "وإنما قد يكون واحداً، وقد يكون أكثر منه ؛ فإن لفظة (مَنْ) تقع على الواحد والجمع "؛ فما يمكن تحصيله من خلال رجل واحد، فقد يتحصل من أكثر من رجل؛ من باب أولى؛ "فالأحسن والأجدر، أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعةٍ من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة، يجددون للناس دينهم "[1].

**المبحث الثاني: أثر العلمانية على الخطاب الديني:**

**المطلب الأول: فكرة التجديد عند العلمانيين العرب:**

لقد كان واقع الأمة الإسلامية المعاصرة، مقارنة بمظاهر التقدم الغربي منحطا؛ حيث ظهرت جليا، مع الحملة الفرنسية بقيادة نابليون، وما نقله أصحاب البعثات العلمية من أوربا إلى بلدانهم، من العادات والتقاليد، كان سببا في وعي الفكر العربي بالقدر الحقيقي للتأخر في كافة الميادين، وكان من نتائج ذلك الوعي؛ هو النقاش حول سبب تأخر العرب والمسلمين؛ عن المكانة العالمية المتطورة، فأدت هذه النقاشات الفكرية، إلى تساؤلات حول إشكالات النهضة، وأسباب التأخر؛ كانت الإجابة: أن على الأمة، أن تتبنى الأفكار العقلانية والعلمانية وغيرها، فاعتقد بهذه المبادئ عدد من النخب الفكرية، وعملوا على تطبيقها في الأمور السياسية والفكرية والاقتصادية والدينية.

فقد "عرفت الأقطار العربية جل التيارات التي نجمت في الغرب؛ عرفت الليبرالية العلمانية، والقومية بكل أشكالها، كما عرفت النزعات الاشتراكية، والجماعية بشتى صورها"[2].

لقد كان الخطاب العلماني العربي متسلطاً على الدين، متهماً إيَّاه بأنه السبب الرئيس في تخلف الأمة، وكان يدعو صراحة لفصله عن الحياة، وجعله في الجانب الفردي فحسب، واستهدف قوانين الشريعة؛ بإنكارها، والدعوة إلى رفضها علناً فكانوا يعلنون أنه "ليس للإنسان شرائع منزله إلا ما أنزله جهله عليه من الخرافات والأوهام، فشرائع الإنسان من الإنسان"[3]، ونتيجة لما تعرض له العالم

(1) ابن الأثير، جامع الأصول ج11 ص320 – 324،ط1 تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط – دار الفكر.

(2) جدعا ن، فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث ص185.ط1، دار الشروق، 1988.

(3) العضمة، عزيز، العلمانية من منظور مختلف، ص183، مركز دراسات الوحدة العربية.

الإسلامي من ويلات الحروب، التي اجتاحته حاول الخطاب العلماني، أن يحمّل الفكر الديني مسؤولية الهزيمة؛ لذا فتح عليه معركة فكرية، جعلته في دائرة النقد، والمساءلة وقامت بوضعه في قفص الاتهام، عند ذلك نادى الخطاب العلماني بالتغيير الجذري في كل شيء، ومن ضمن ما ينبغي تغييره الفكر الديني. وقد كتبوا في ذلك "نقد الفكر الديني"(1).

**المطلب الثاني: تطور الخطاب العلماني العربي:**

بدأ الخطاب الفكري العلماني يتهاوى، بعد ظهور الفكر الإسلامي؛ الذي طالب بالعودة إلى المنابع الأصلية للشريعة، ثم تحول الخطاب العلماني المعاصر إلى الدعوة لتجديد الدين؛ وانحسر دور الإلحاد المعلن؛ الذي ظهر في مقالات إسماعيل مظهر، وإسماعيل أدهم، وصادق جلال العظم، ومنصور فهمي، وأمثالهم، حيث "شهدت العقود الثلاثة الأخيرة - من القرن العشرين - تغيراً في المواقع والدعاوى الفكرية؛ فحملة لواء الدعوة للاجتهاد، والتجديد في الإسلام اليوم، هم غالباً من أولئك الذين كانوا يأملون قبل عقدين أن يستمر دور الإسلام في تضاؤل حتى يختفي من ساحة الحياة العامة، كما هو الشأن في الغرب؛ بيد أنَّ ربع القرن الأخير، حمل معه عودة للدين، والدعوة إليه في الغرب والشرق على حدٍّ سواء. وشهدت بلدان الإسلام على الخصوص صعود حركات دينية قوية، بين الشباب تدعو للعودة للسلف وسيرتهم، وسلوكهم وسلطتهم؛ بل ودولتهم، ولاقتناع العلمانيين، وخريجي الجامعات الغربية، ورجالات الأحزاب اليسارية بعدم جدوى، بل وخطورة الدعوة لضرب الدين والإسلام بالذات، تصاعدت دعواتهم للتجديد في الإسلام، والثورة فيه لا عليه"(2).

لقد أصبح العلمانيون أكثر مرونة، فمع "تصاعد المد الإسلامي رأى الكثيرون من العلمانيين عدم جدوى الصراع السافر مع الحقائق الإسلامية، وكان من المحتم عليهم أن يلتجئوا إلى أسلوب آخر

---

(1) العظم، صادق جلال. نقد الفكر الديني.

(2) السيد، رضوان، الإسلام المعاصر نظرات في الحاضر والمستقبل ص177، رضوان السيد، بيروت 1987 م.

للمواجهة، ومن هنا كان الاتجاه الجديد للعمل تحت ستار الفكر الديني المستنير"[1]، فحاول كثير من العلمانيين، تغيير مفهوم العلمانية من معناه الحقيقي، إلى معنى صديق للدين، وذلك حتى يتم "سحب البساط من تحت أقدام المتاجرين بالدين، وبهدف التصدي للسلفية الظلامية، بأسلحة فكرية من نوع الأسلحة نفسها، التي تستخدمها في معركتها ضد الأيدولوجية"[2].

**التقية عند العلمانيين:**

بعد انتشار الفكر الإسلامي، وتفوقه على التيارات الأخرى، ازداد الخطاب الديني قوة في العالم العربي، أدرك العلمانيون "أن كلمة العلمانية أصبحت سيئة السمعة فمن الأفضل استخدام الدولة المدنية"[3]، والانتقال إلى ميدان المعركة بألفاظ جديدة غير مصطلح العلمانية، فهم "يتجنبون هذا الوصف، ويتحدثون بدلاً من ذلك عن الصراع بين ثقافتين، الثقافة التقليدية المحافظة من جانب، والثقافة الليبرالية أو ثقافة التنوير"[4] ويبررون ذلك بقولهم: إن العلمانيين "يخضعون للابتزاز الديني في أغلب الأحوال فيتحاشون مصطلح العلمانية، تقية، وخشية الاتهام بالكفر والإلحاد"[5] بل يمكن القول: إن "العلمنة تكتسح اليوم تحت غطاء ديني وشعارات دينية كل أرض الإسلام، ولا أحد يعلم بذلك"[6].

لقد كانت بدعة التقية العلمانية، خير وسيلة للعلمانيين، لنشر الفكر العلماني بين الأوساط العربية، والإسلامية؛ وذلك إما بأسماء مختلقة ومصطنعة؛ وإما بأساليب تطبيقية مباشرة لروح العلمانية؛ حيث لم يعد همهم التسميات، بقدر ما يكون الواقع مطبقاً لتلك المبادئ، والأفكار التي لن تتنكر مستقبلا

---

(1) مبروك، محمد إبراهيم، تزييف الإسلام وأكذوبة الفكر الإسلامي المستنير ص25،ط1،1411هـ،1991م، دار ثابت، القاهرة.

(2) طرابيشي، جورج، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، ص17،ط3، دار الساقي، بيروت.

(3) الأزهر والمثقفون، الأهرام السنة (135)، العدد (45458)، 23 مايو 2011م.

(4) أبو زيد، نصر حامد، التفكير في زمن التكفير ضد الجهل والزيف والخرافة ص31. ط2، مكتبة مدبولي – القاهرة.

(5) المرجع السابق ص 93.

(6) أركون، محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ص315، دار الساقي –بيروت.2009م.

للتسمية، إذا كانت توافق الحياة التي يعيشون، فكانوا لا يمانعون "التخلي عن كلمة العلمنة بحد ذاتها، بدون أن يترتب على هذا التخلي أي خطورة"(1).

**المطلب الثالث: التجديد بين الخطاب الإسلامي والخطاب العلماني:**

من المعلوم أن "الذين يدعون للتجديد اليوم لا يجتهدون في ابتداع طرق أفضل؛ بل يحاولون التخلص من الإسلام كله، تارة بالقول: إنهم يريدون تطهيره من الخرافات والأساطير، بالعودة إلى الينابيع، وطوراً بالقول: إن جمود الفقهاء يجمد الإسلام، ولا بد من التخلص منهم فيتجدد الدين"(2).

لقد تبين لنا سابقا أن مصطلح التجديد أصيل في الفكر الإسلامي، وركيزة من ركائزه المهمة، وليس من بدع الاتجاهات الفكرية الأخرى، وهو يعني في الفكر الإسلامي الرد إلى الأصل، وهو نضارة الأمة وحال سلفها في صفاء المنهج والعقيدة سواء في التلقي والاستدلال، أو في الجانب العلمي، والمتمثل في البعد عن المحدثات في الدين مما لم تأت به نصوص الشريعة، ولذلك جاء مفهوم التجديد في العصور الإسلامية السابقة؛ ليحكي معنى الإحياء، والتطهير والعودة إلى عصر الرسالة الأولى(3)، والتجديد بالمفهوم السابق جاء نتيجة تراكم معرفي في التصور للمفاهيم الإسلامية، وتغليب للابتداع على حساب الاتباع؛ فجاء خطاب التجديد، من داخل المنظومة الإسلامية نفسها، لتحقيق مفاهيم التجديد متضمناً تجديد دين الأمة وليس تجديد الدين نفسه بما اشتمل عليه من عقائد وأحكام وثوابت مما لا يتغير، ولا يتبدل كما جاءت بذلك نصوص الشريعة(4).

بيد أن مصطلح التجديد سلك طرقاً غير الطرق الأصيلة لمفهوم التجديد الإسلامي، وذلك في الخطابات العلمانية، بحجة ما يسمى قراءة التراث، و الدعوة إلى قطيعة الفهم القديم للتراث،

(1) طرابيشي، جورج، من النهضة إلى الردة ص137.ط1، دار الساقي- بيروت 2000م.

(2) السيد، رضوان، الإسلام المعاصر نظرات في الحاضر والمستقبل ص179، رضوان السيد، بيروت 1987 م.

(3) سعيد، بسطامي، مفهوم تجديد الدين ص17، ط1،دار الدعوة الكويت،1405هـ-1984م.

(4) السيف، خالد،ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر ص167، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط1431،1هـ- 2010م.

باستخدام عملية التجديد، فيكون "التجديد هو إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر، فالقديم يسبق الجديد، والأصالة أساس المعاصرة، والوسيلة تؤدي إلى الغاية؛ التراث هو الوسيلة، والتجديد هو الغاية، وهي المساهمة في تطوير الواقع وحل مشكلاته والقضاء على أسباب معوقاته، وفتح مغاليقه، التي تمنع أي محاولة لتطويره، والتراث ليس قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطي من نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره"[1].

إن التجديد لا يكون بطبيعة الحال للكتاب والسنة الصحيحة؛ إلا بإعادتها وارجاع العمل بها، وتقديسها، كما كان عليه سلف الأمة؛ أما تجديدها بمعنى تطويعها للواقع المعاصر، وتحطيم قدسيتها، وتحريفها، وتغيير نصوصها، وعدم العمل بها؛ فهذا مخالف تماما لما، تم الاصطلاح عليه من مفهوم التجديد؛ لقد كان هذا الفهم المغلوط مقصودا عند العلمانيين؛ حيث استخدموا مصطلح التجديد، لجميع التراث، على اعتبار أن الدين جزء لا يتجزأ من التراث، الذي يجب في نظرهم تجديده وتغييره.

لقد كان الخلط بين التراث، والدين متعمداً من قبل العلمانيين؛ بل وينصون على ذلك بقولهم:" الدين جزء من التراث، وليس التراث جزءاً من الدين"[2].

وبناء على ما سبق؛ تم استخدام مصطلح التجديد بصورة كبيرة في الخطابات العلمانية المعاصرة،ودمجه بمفاهيم التحديث؛ وبهذه الطريقة يتم تحريف مصطلح التجديد وافراغه من معانيه الشرعية؛ حتى يصل إلى معاني الحداثة الغربية ويتم استخدام آلياتها وأساليبها وطرقها المختلفة بعيدا عن المنظومة الإسلامية، وفي النهاية إلغاء مصطلح التجديد واستبداله بمصطلح القراءة أو إعادة القراءة، التي تعني قراءة التراث باستخدام المنهجيات الحديثة في النقد والتفسير.

---

(1) حنفي، حسن، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ص 13، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1992.

(2) المصدر السابق ص23.

وبهذا يتضح لنا، أن ثمة فرق، بين الخطاب العلماني القديم، الذي كان يستهدف مباشرة النصوص الدينية، وبين الخطاب العلماني الحديث، الذي يستهدف تلك النصوص بصورة غير مباشرة؛ كما اتضح، كيف أن التجديد كان أحد تلك الأدوات، التي استخدمها بصورة منحرفة.

المراجع:

1. ابن الأثير، جامع الأصول، ط1 تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط – دار الفكر.
2. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، إعلام الموقعين، عن رب العالمين، دار الجيل، دار الجيل – بيروت، 1973.
3. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، طبعة 2003م
4. ابن حجر، فتح الباري.
5. ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه ، دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني رحمه الله.
6. ابن منظور ـ لسان العرب، طبعة دار المعارف، مصر.
7. أبو داود، السنن، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في القرن المائة
8. أبو زيد، نصر حامد، التفكير في زمن التكفير ضد الجهل والزيف والخرافة، مكتبة مدبولي – القاهرة.
9. أركون، محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، دار الساقي –بيروت.2009م.
10. الأزهر والمثقفون، الأهرام السنة، 23 مايو 2011م.
11. الألباني، محمد ناصر، السلسلة الصحيحة.
12. أمامة، عدنان محمد، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، ط1، 1424هـ.
13. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري، دار ابن كثير – بيروت، طبعة 1987، تحقيق: الدكتور مصطفى البغا.
14. برهان غليون، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1، 1991.
15. التويجري، حمود، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ط1، دار الصميعي، السعودية.

16. جدعا ن، فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث. ط1، دار الشروق، 1988.
17. الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد أبو العباس، ط1، 2013م، دار طلائع، القاهرة.
18. حنفي، حسن، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1992.
19. الحنيطي، أحمد محمد، تجديد الخطاب الديني العقدي في مواجهة التحديات المعاصرة، رسالة دكتوراه، الفصل الأول، المبحث الخامس.
20. الرملي، حاشية الرملي.
21. رويث- بينا، هنري، ماهي العلمانية؟ ترجمة: د. ريم منصور الأطرش، ط:2005م، المؤسسة العربية للتحديث الفكري – دمشق.
22. السخاوي في المقاصد الحسنة ، دار الكتاب العربي، لبنان.
23. سعيد، بسطامي، مفهوم تجديد الدين ط1، دار الدعوة الكويت،1405هـ -1984م.
24. السيد، رضوان، الإسلام المعاصر نظرات في الحاضر والمستقبل، رضوان السيد، بيروت 1987 م.
25. السيف، خالد، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط1، 1431هـ - 2010م.
26. طرابيشي، جورج، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، ط3، دار الساقي، بيروت.
27. طرابيشي، جورج، من النهضة إلى الردة، ط1، دار الساقي- بيروت 2000م.
28. العضمة، عزيز، العلمانية من منظور مختلف، مركز دراسات الوحدة العربية.
29. العظم، صادق جلال. نقد الفكر الديني.
30. العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، دار الكتب العلمية – بيروت.

31. مبروك، محمد إبراهيم، تزييف الإسلام وأكذوبة الفكر الإسلامي المستنير، ط1، 1411هـ، 1991م، دار ثابت، القاهرة.
32. موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، دار الثقافة، الجزائر.
33. النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم، دار الجيل – بيروت ودار الآفاق الجديدة– بيروت.